عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم باسناده

والرد على شـــبهات المستشرقين وأتبـــاعهم

تمهيــد :

يزعم بعض المستشرقين من كفار اليهود والنصارى أن عناية المحدثين قد انصبت على نقد سند الحديث وتمحيصه والبحث في رجاله ، وأنها لم تنصب على نقد متن الحديث والبحث فيه ، مع أنه هو النص وعليه المعول ٠

وقد تبعهم في ترديد هذه الفرية نفر من أبناء جلدتنا المنتسبين للاسلام ، فتلقفوا هذه الفرية التي قذفها في تفكيرهم المتبلـد أساتذتهم المستشرقون ، ثم راحوا يجترونها على شكل أبحاث ومقالات علمية ، اما عن جهل منهم بما قاله أعداء الاسلام ، واما عن خبث وسوء طوية بقصد الشهرة وكسب الحرام ٠

والحقيقة أن هذا الزعم لا يتعدى الافتراء المحض على المحدثين ومنهجهم الواضح في نقد متن الحديث ، وعنايتهم بتمحيصـــه والبحث فيه ، ولا يرقى حتى الى حد الشبهة التي تستحق التفنيد والرد ، لولا أن بعض الكتاب المعاصرين المنتسبين الى الاسلام قاموا بترديد هذا الزعم ، والباســـه زوراً لباس البحث العلمي ، ولولا الفراغ العلمي الكبير من معرفة تاريخ السنة ومنهج النقد عند المحدثين ، اللذان يخشى بسببهما وقوع كثير من شبابنا في شراك هذا الزعم الذي يثير الشكوك والشبه عندهم حول سلامة منهج المحدثين في نقد سند الحديث ومتنـــه ، وبالتالي ربمـــا يرتابون في صحة الحديث الصحيح جملة ، أو في بعض النصوص الثابتة لمجرد الوساوس والشبهات لما قمت بهذا الرد ٠

أقول : ان هذين السببين هما اللذان دفعاني الى تفنيد هذه الفرية والرد عليها .

نصوص تلك المزاعم والمفتريات :

يقول المستشرق « غاستون ويت » : « وقد درس رجال الحديث السنة باتقان ، الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال ، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض ... الى أن قال : « لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف اليه الرواة شيئاً عن حسن نية في أثناء روايتهم للحديث ... » (١)

ويقول أحمد أمين في كتابه « فجر الاسلام » : « وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ، ولكنهم ـ والحق يقال ـ عنوا بنقد الاسناد أكثر ممّا عنوا بنقد المتن » . وياليته وقف عند هذا الاجمال من القول ، لكنه زاد الطين بلة عندما فصل هذا القول بقوله : « فقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف من تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا . ولم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى نرى البخاري نفسه ـ على جليل قدره ودقيق بحثه ـ يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة ، لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة

---

(١) انظر التاريخ العام للديانات (الاسلام) ص ٣٦٦ نقلا عن كتاب (السنة قبل التدوين) ص ٢٥٤ .

سنة نفس منفوسة (١) » وحديث « من اصطبح كل يوم سبع تمـرات من عجوة لم يضره سم ولاسحر ذلك اليوم الى الليل (٢) » (٣)

ويقول أيضاً في كتابه « ضحى الاسلام » : « وفي الحق أن المحدثين عنوا عناية بالنقد الخارجي ، ولم يعنوا هذه العنايـة بالنقد الداخلي (٤) ، فقد بلغوا الغاية في نقد الحديث من ناحية رواته جرحا وتعديلا ، فنقدوا رواة الحديث في أنهم ثقات أو غير ثقات ، وبينوا مقدار درجتهم في الثقة ، وبحثوا هل تلاقى الراوي والمروي عنه أو لم يتلاقيا ، وقسموا الحديث باعتبار ذلك ونحوه الى حـديث صحيح وحسن وضعيف ، والى مرسـل ومنقطع ، والى شاذ وغريب ، وغير ذلك . ولكنهم لم يتوسعوا كثيراً في النقد الداخلي ؛ فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا ؟ مثال ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين . والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم** » .

فهل اتجهوا في نقد الحديث الى امتحان الكمأة وهل فيها مادة تشفي العين ؟ أو العجوة ، وهل فيها ترياق ... الى أن قال : كذلك لم يتعرضوا كثيراً لبحث الأسباب السياسية التي قد تحمل على الوضع ، فلم أرهم شكوا كثيراً في أحاديث لأنها تدعم الدولة الأموية أو العباسية أو العلوية ، ولا درسوا دراسة وافية البيئة الاجتماعية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، وما طرأ عليها من خلاف ليعرفوا هل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم جـ ١ ص ٢١١ مع شرحه فتح الباري وفي كتاب مواقيت الصلاة جـ ٢ ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب الأطعمة جـ ٩ ـ ص ٥٦٩ ـ وكتاب الطب جـ ١٠ ص ٢٣٨ من فتح الباري وأخرجه مسلم في كتاب الأشربـة ، وأخرجه أحمد في عدة مواضع .

(٣) فجر الاسلام ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٤) يقصد بالنقد الخارجي نقد السند ، ويقصد بالنقد الداخلي نقد المتن .

الحديث يتمشى مع البيئة التي حكي أنه قيل فيها أو لا ؟ ولم يدرسوا كثيراً بيئة الراوي الشخصية وما قد يحمله منها على الوضع وهكذا (١)

ويقول الدكتور أحمد عبد المنعم البهي في مجلة (العربي) : « ان رجال الحديث كان كل همهم منصرفا الى تصحيح السند والرواية ، دون الاهتمام بتمحيص متن الحديث نفسه الذي هو النص » (٢)

تفنيد تلك المزاعم ودحضها :

فأنت ترى من أقوال هذا المستشرق الكافر زعمه بأن دراسة ونقد أئمة الحديث كانت موجهة الى السند باتقان ، على حين أنهم لم يهتموا بنقد المتن · كما أنك ترى هذين الكاتبين (أحمد أمين وأحمد البهي) المنتسبين للاسلام قد رددا هذا الزعم نفسه بدون دراسة ولا تثبت ــ في اتهام أئمة الحديث بهذا الاتهام الباطل ، وبدون النظر فيما يهدف اليه ذلك المستشرق ــ وغيره ــ الذين يكيدون للاسلام وأهله ·

لقد قال الاستاذ أحمد أمين فيما قال : « ان علماء الحديث قسموا الحديث الى حديث صحيح وحسن وضعيف » وزعم أن هذا التقسيم كان بناء على نقد السند ، ونحن نريد أن نبين له ولاستاذه المستشرق زيف ما قال من تعريف علماء المصطلح للحديث الصحيح لنرى هل لحظوا في تعريفهم له السند فقط أو السند والمتن معاً ؟

قال الامام عمرو بن الصلاح في تعريف الحديث الصحيح : « هو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه ، ولا يكون شاذا ولا معللا » (٣)

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ·

(٢) مجلة العربي الكويتية ــ عدد نيسان سنة ١٩٦٦ م رقم العدد ٨٩ صفحة ١٣ ·

(٣) علوم الحديث ص ١٠ ·

فهذا التعريف للحديث الصحيح يتضمن شروطاً يجب توفرها في الحديث حتى يعتبر صحيحاً ، وهذه الشروط منها ما يعود اشتراطها الى نقد السند ، ومنها ما يعود الى نقد المتن ٠

أما اتصال السند وعدالة الرواة وضبطهم فتتعلق بنقد السند ، وأما نفي الشذوذ ونفي العلة فيتعلقان بنقد السند والمتن معاً ٠

وبيان ذلك أن علماء الحديث قد نصوا في بحث الشاذ على أن الشذوذ يكون في السند كما يكون في المتن ، بل أن أكثر صور الشذوذ واقعة في المتن كما يلاحظ المتتبع لأمثلتهم ٠

١ ـ مثال الشذوذ في السند : ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس « أن رجلا توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع وارثاً الا مولى هو أعتقه ٠٠٠ الحديث » وتابع ابن عيينة على وصله ابن جريج وغيره ، وخالفهم حماد بن زيد فرواه عن عمرو بن دينار عن عوسجة ، ولم يذكر ابن عباس (١) ٠ قال أبو حاتم : « المحفوظ (٢) حديث ابن عيينة » قال ابن حجر تعليقاً على قول أبي حاتم هذا « فحماد بن زيد من أهل العدالة والضبط ، ومع ذلك رجح أبو حاتم رواية من هم أكثر عدداً منه » (٣)

قلت : ان أئمة الحديث لم يكتفوا في نقد هذا الحديث بالنظر في رجال اسناده فقط وانما نظروا الى شيء آخر كذلك ٠

---

(١) أي رواه حماد مرسلا باسقاط اسم الصحابي الذي هو ابن عباس ٠

(٢) أي ويقابل المحفوظ الشاذ ، وهو رواية الثقة مخالفا لما رواه الثقات ٠

(٣) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٣٦ ـ ٣٧ ٠

٢ ـ التمثيل للشذوذ في المتن :

أ ـ ماذكره السيوطي في « تدريبه » في بحث الشاذ فقال : « ومن أمثلته في المتن ما رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً « اذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع عن يمينه » · قال البيهقي : خالف عبد الواحد العدد الكثير في هذا ، فان الناس انما رووه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا من قوله ، وانفرد عبد الواحد من بين ثقات أصحاب الأعمش بهذا اللفظ » (١)

ب ـ ما ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام « عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويتم ، ويصوم ويفطر » ثم قال ابن حجر : « رواه الدارقطني ورواته ثقات » ثم قال : « المحفوظ عن عائشة من فعلها ، وقالت انه لا يشق علي أخرجه البيهقي » (٢)أي أن الحديث شاذ مردود ولو كان اسناده صحيحاً ورواته ثقات ·

كما نص أئمة الحديث في بحث المعلل على أن العلة قد تقع في اسناد الحديث كما تقع في متنه · فقد قال ابن الصلاح في « علوم الحديث » :

« ثم قد تقع العلة في اسناد الحديث وهو الأكثر ، وقد تقع في متنه » ثم قال : « ثم ما يقع في الاسناد قد يقدح في صحة الاسناد والمتن جميعاً ، كما في التعليل بالارسال والوقف ، وقد يقدح في صحة الاسناد خاصة من غير قدح في صحن المتن » (٣)

---

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي جـ ١ ص ٢٣٥ ·
(٢) بلوغ المرام ـ باب صلاة المسافر والمريض ص ٥٠ ·
(٣) علوم الحديث ص ٨٢ ·

ثم مثل للعلة الواقعة في السند وهي لا تقدح في المتن ، ثم مثل للعلة الواقعة في المتن فقال :

« ومثال العلة في المتن : ما انفرد مسلم باخراجه في حديث أنس من اللفظ المصرح بنفي قراءة « بسم الله الرحمن الرحيم » فعلل قوم رواية اللفظ المذكور ، لما رأوا الأكثرين انما قالوا فيه : « كان يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » من غير تعرض لذكر البسملة ، وهو الذي اتفق البخاري ومسلم على اخراجه في الصحيح ، ورأوا أن من رواه باللفظ المذكور رواه بالمعنى الذي وقع له ، ففهم من قوله « كانوا يستفتحون بالحمد لله » أنهم كانوا لا يبسملون ، فرواه على ما فهم وأخطأ ، لأن معناه أن السورة التي كانوا يفتتحون بها من السور هي الفاتحة ، وليس فيه تعرض لذكر البسملة (١) .

ظهور افتراء المستشرقين وتلامذتهم :

فمن هذه الأمثلة يتبين أن علماء الحديث اهتموا بنقد المتن ، ولم يكتفوا لتصحيحه بتوفر الشروط التي في السند فقط .

هذا وهناك كثير من أنواع علوم الحديث ، ذكر علماء المصطلح بأن منها ما يقع في الاسناد ، ومنها ما يقع في المتن ، وأذكر أشهرها بدون تمثيل خشية الاطالة ، فمنها : المدرج (٢) والمقلوب(٣) والمضطرب(٤) والمصحف(٥) وزيادات الثقات(٦)

ومن هذا يتبين أن عناية المحدثين كانت موجهة الى نقد المتن كما كانت موجهة الى نقد السند ، ولذلك استطاعوا كشف هذه الأمور من الشذوذ والعلة والادراج والقلب والاضطراب

---

(١) علوم الحديث ص ٨٤ .
(٢) علوم الحديث ص ٨٦ .
(٣) نزهة النظر ص ٤٩ .
(٤) علوم الحديث ص ٨٥ .
(٥) علوم الحديث ص ٢٥٢ وما بعدها .
(٦) منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢ .

والتصحيف والزيادات في المتن ، ولولا توجه عنايتهم الى نقد المتن لما استطاعوا كشف ذلك في المتن ٠

فلو قرأ هذا المستشرق المفتري ومقلداه كتاباً ــ ولو صغيراً ــ في علوم الحديث ومصطلحه لمروا أثناء قراءتهم على تلك الشروط والقواعد التي يذكرها علماء مصطلح الحديث في قبول الحديث، وهي شروط واضحة في أنها تتعلق بنقد متن الحديث كما تتعلق بنقد اسناده ، ولما قالوا ما قالوه افتراء وزوراً على المحدثين ٠

معرفة الحديث الموضوع بدون نقد سنده :

وقبل كل هذا وذاك فهناك بحث « الحديث الموضوع » وفيه تجلت عناية أئمة الحديث ونقدهم لمتن الحديث ــ الذي يعبر عنه المستشرقون وأتباعهم بالنقد الداخلي ــ بشكل يصفع المستشرقين وتلامذتهم صفعة تسود وجوههم وتخرس ألسنتهم ٠

وتوضيح ذلك أن أئمة الحديث ، بعد أن قالوا ان من علامات وضع الحديث أن يكون في سنده كذاب أو وضاع ــ وهو شيء حق لا يماري فيه المستشرقون ولا المستغربون لأنه من نقد السند الذي اعترفوا به لأئمة الحديث ــ وجهوا عنايتهم الى نقد متن الحديث بشكل دقيق ظهرت فيه براعتهم وبعد نظرهم ، فقالوا انه لا يكفي سلامة سند الحديث من وجود الوضاعين والكذابين ليسلم الحديث من وصمة الوضع ، بل لابد كذلك أن يسلم متن الحديث من أمور كثيرة ، منها : مخالفته للحس ، أو للمعقول ، أو لصريح القرآن ، أو لصريح السنة الثابتة المشهورة ، أو كونه ركيك الألفاظ ، سمج المعاني وما الى ذلك ٠

كتاب « المنار المنيف » لابن القيم أفضل بحث في معرفة الموضوع من غير النظر الى السند :

وأحسن شيء أذكره في هذا الصدد وأوسعه ما ذكره ابن

قيم الجوزية في كتابه « المنار المنيف في الصحيح والضعيف » في الفصل الخامس فما بعده الى نهاية الفصل التاسع والأربعين ، فقد استهل رحمه الله الفصل الخامس بقوله : « وسئلت هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر ، وانما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بلحمه ودمه ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به ، وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو اليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ، فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه . وما يجوز أن يخبر به ، وما لا يجوز ما لا يعرفه غيره ··· » (١)

ثم قال : « فمن ذلك ··· ومن ذلك ··· » فذكر أربعة عشر حديثاً ، وبين زيفها وكذبها(٢) ، ثم قال : « فمنها ··· ومنها ··· » الى نهاية الفصل التاسع والأربعين ، يأتي بالقاعدة الكلية في كل فصل ، ثم يأتي بالأحاديث الموضوعة كالأمثلة والشواهد على تلك القاعدة · فذكر / ٤٤ / قاعدة ومثل لها بـ / ٢٧٣ / حديثاً ، وبين وجه بطلانها من مجرد نقد المتن ، ولم يعرج عن نقد السند في شيء قط (٣) ·

وقد ذكر من تلك القواعد الكلية القواعد التالية :

١ ـ تكذيب الحس للحديث (٤)

---

(١) المنار المنيف ص ٤٤ ·

(٢) انظرها في المصدر السابق بين ص ٤٤ ـ ٥٠ ·

(٣) انظرها في المصدر السابق بين ص ٥٠ ـ ١٤١ ·

(٤) المصدر السابق ص ٥١ ·

٢ ـ مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة (١)

٣ ـ مخالفة الحديث صريح القرآن (٢)

٤ ـ ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل (٣)

الى غير ذلك من القواعد والقرائن التي تدل على كذب ذلك الحديث • ولقد أجاد ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا أيما اجادة • ويا ليت الاستاذ أحمد أمين والدكتور أحمد البهي اطلعا على هذا الكتاب قبل أن تسود أناملهما صفحات الورق التي أخرجوها للناس باسم البحث والنقد العلمي ، والاكتشافات العلمية الجديدة !••• أما أستاذهما المستشرق (ويت) فلا فائدة من رؤيته لهذا الكتاب لأنه وان رآه سوف يتعامى عما فيه ، لأنه عدو دساس على الاسلام وأهله ، ولا تثريب عليه في ذلك طالما أنه عدو ، ولكن البلية كل البلية فيمن يردد قوله من أبناء جلدتنا بدون بحث ولا تحقيق •

عامة كتب علوم الحديث ذكرت علامات الموضوع بدون النظر في سنده :

ان عامة كتب علوم الحديث ومصطلحه ذكرت في بحث « الحديث الموضوع » بعض القواعد والعلامات التي تدل على أن الحديث موضوع بدون البحث والنظر في اسناده ، فمن ذلك ما ذكره ابن الصلاح في كتابه « علوم الحديث » فقال :

« وانما يعرف كون الحديث موضوعاً باقرار واضعه ، أو ما يتنزل منزلة اقراره ، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي • فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها » (٤) •

(١) المنار المنيف ص ٥٦ •
(٢) المصدر السابق ص ٨٠ •
(٣) المصدر السابق ص ١٠٢ •
(٤) علوم الحديث ص ٨٩ •

وهذا السيوطي يذكر في « تدريبه » علامات وقرائن كثيرة نقلها عن الأئمة ، تدل على وضع الحديث(١) ، فمنها ما نقله عن ابن الجوزي أنه قال : « ما أحسن قول القائل : اذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع » (٢) ثم ذكر مثالا للحديث المخالف للعقل فقال : « ومن المخالف للعقل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً : ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ، وصلت عند المقام ركعتين » (٣)

أقول : ولا يعني هذا أن أي صاحب عقل معوج أو صاحب غرض رأى حديثا صحيحا مستقيما ليس فيه ما يخالف العقول السليمة ، لكن رأى أنه يخالف عقله فقط ، أن له رده بدعوى أنه مكذوب يخالف العقل ، وانما هذا عائد لأصحاب العقول السليمة السوية المؤهلة للفهم البعيدة عن أدناس الأغراض وأرجاس الهوى ٠

مناقشة أحمد أمين في حديثين :

وبالمناسبة فاني أعود الى ما قاله أحمد أمين بصدد حديثين صحيحين في صحيح البخاري وهما حديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » ٠ وحديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل » اعتبر أن الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية دلت على أنهما غير صحيحين وانتقد الامام البخاري بأن الذي ورطه في تصحيح هذين الحديثين هو اقتصاره في تصحيح الحديث على نقد الرجال والبحث في الأسانيد دون النظر في المتون ونقدها ٠

(١) انظرها في تدريب الراوي جـ ١ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٢٧٨ ٠

فأقول أما الحديث الأول فهو في صحيح البخاري بغير هذا اللفظ فقد أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع كما يلي :

١ ـ أخرجه في كتاب العلم بلفظ « عن عبد الله بن عمر قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ، فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » (١)

٢ ـ وأخرجه في كتاب مواقيت الصلاة ـ باب ذكر العشاء والعتمة ، ومن رآه واسعاً ـ عن ابن عمر باللفظ السابق الا أن فيه « أرأيتم » بدل « أرأيتكم » (٢)

٣ ـ وأخرجه في كتاب مواقيت الصلاة أيضاً ـ باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء ـ عن ابن عمر بلفظ « صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ، فان رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد • فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة ، وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض » يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن »(٣)

وقد أخرج هذا الحديث الامام أحمد في مسنده في عدة مواضع عن جابر وعن علي وغيرهما وليس فيها اللفظ الذي أورده الأستاذ أحمد أمين • وأكثر تلك الروايات متقاربة ومنها : « عن نعيم بن دجاجة أنه قال : دخل أبو مسعود بن عمرو الأنصاري على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي أنت

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٢١١ •
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥ •
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٣ ـ ٧٤ •

الذي تقول لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ؟ انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حي اليوم ، والله ان رجاء هذه الأمة بعد مائة عام » (١)

ومنها « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بشهر :

« تسالوني عن الساعة ، وانما علمها عند الله ، أقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة » (٢)

وأخرج الحديث الامام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة من طرق متعددة بألفاظ متقاربة منها عن ابن عمر بلفظ البخاري (الرواية رقم ٣) (٣) . ومنها رواية عن جابر بلفظ :

« ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ » (٤)

وقال الامام مسلم بعد هذه الرواية : « وفسرها عبد الرحمن (٥) قال : نقص العمر » وأخرج الحديث الامام الترمذي في كتاب الفتن بلفظ البخاري (الرواية رقم ٣) (٦)

أقول : فمن النظر في جميع روايات الحديث وألفاظه يتبين أن اللفظ الذي ساقه الاستاذ أحمد أمين ليس مما رواه البخاري ولا غيره ، ثم ان أكثر الروايات في البخاري وغيره فيها التقييد

(١) مسند احمد جـ ١ ص ٩٣ .
(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٤٥ .
(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٦٥ .
(٤) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٩٦٦ .
(٥) هو أحد رجال السند الراوي عن جابر .
(٦) جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٥٢٥ .

بلفظ (اليوم) وهو قيد مهم يجلو مراد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فهم الصحابة مراد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما بين ذلك ابن عمر ، وكما رد علي بن أبي طالب على أبي مسعود البدري ، ومعنى الحديث كما هو واضح من مجموع رواياته ، وكما شرحه بعض من رواه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لما سأله الصحابة عن يوم القيامة متى سيكون ، قال :

« **ان علمها عند ربي** » ،

ثم قال :

« **ان أعماركم قصيرة وليست كأعمار الأمم السابقة وان أطول عمر لشخص موجود اليوم هو مائة سنة من الآن** » .

ولقد ثبت هذا بالاستقراء اذ أن آخر شخص توفي من الصحابة رضي الله عنهم كان سنة ١١٠ هـ وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة . وليس في الحديث تعرض الى أن القيامة ستقوم بعد مائة سنة من تاريخ مقالته صلى الله عليه وسلم تلك ، بل لو كلف الاستاذ أحمد أمين نفسه فقرأ صدر الحديث الذي فيه سؤال الصحابة له عن الساعة وقوله لهم :

« **تسألوني عن الساعة وانما علمها عند ربي** » .

لما تورط في هذا الفهم الغريب ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بهذا الحديث عن موعد قيام الساعة وأنه سيكون بعد مائة سنة وأن المخلوقات كلها لا يبقى منها أحد على وجه الأرض !... لكن ما ذنب البخاري اذا كان الاستاذ أمين غير أمين في نقل الحديث كما أورده البخاري ـ أو غيره ـ وما ذنب الأحاديث اذا فهمها شخص كما يهوى ثم يتبجح بعد ذلك بقوله عن الامام البخاري انه « يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة » أي حوادث زمنية ومشاهدات تجريبية هذه التي دلت على أن هذا الحديث

كما رواه البخاري وغيره غير صحيح ؟! ··· أهذا هو تحقيقك وبحثك ونقدك يا أستاذ ! ···

وأما الحديث الثاني (وهو حديث العجوة) فقد أخرجه البخاري في :

١ ـ كتاب الأطعمة بلفظ :

« **من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر** »(١)

٢ ـ كتاب الطب بلفظ :

« **من اصطبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل** » (٢)

وفي لفظ بدون « سبع » وفي لفظ آخر بدون كل « يوم » ·

أقول : أي شيء ينكره أحمد أمين في هذا الحديث اذا صح سنده ؟ وهل في هذا الحديث ـ كما ادعى ـ ما أثبتت المشاهدات التجريبية على أنه غير صحيح ؟ ما المانع أن يكون في العجوة خاصية خلقها الله تعالى ـ كالترياق ـ مضادة للسم ؟ وما المانع أن يكون فيها خاصية تمنع من تأثير السحر على من أفطر كل يوم على الريق بسبع ثمرات من العجوة ؟ فان بعض التعويذات الشرعية تحمي صاحبها من السحر ، كما أن كثيراً من الأدوية والمركبات الكيماوية مضادة لتأثير السموم وليس في ذلك ما يستغرب ، ثم هل جرب الاستاذ أمين أو سمع من جرب بأن شخصاً داوم على تناول سبع تمرات من العجوة كل يوم على الريق ثم دس له سم فأثر عليه ذلك السم ؟ اذا كان هو لم يجرب ، ولم يرو لنا أن غيره جرب ، فمن أين وصل الى هذه النتيجة وهي

(١) البخاري مع فتح الباري جـ ٩ ص ٥٦٩ ·
(٢) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٢٣٨ ·

قوله : « دلت المشاهدة التجريبية على أنه غير صحيح » • سبحان الله أي مشاهدة تجريبية هذه التي دلته على ذلك ، وهو لم يبين لنا متى كانت ، ومع من كانت ، وانما ادعاها دعوى ثم مشى ! • • •

هذا وقد نشرت بعض البحوث العلمية التي تدل على أن «البلح» ومنه العجوة فيه شفاء لكثير من الأمراض ، ومن هذه الأبحاث ما نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان :

« البلح علاج لأمراض العيون والجلد والأنيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ، ويساعد على الولادة بسهولة » ثم قالت ما يلي :

« أثبت الأبحاث العلمية التي أجريت أخيرا بالمركز القومي للبحوث أن البلح غذاء كامل ، ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون ، وضعف البصر ، وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرا وأمراض الأنيميا ، وحالات النزيف ، ولين العظام ، والبواسير ، ويساعد المرأة الحامل على الولادة بسهولة » •

صرح بذلك الدكتور عبد العزيز شرف ، المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومي للبحوث • وأضاف قائلا : ان الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ، ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ، ومواد معدنية وسكرية ، وذلك بالاضافة الى أنه غني بالكالسيوم والفسفور والحديد ، ويحتوي على غالبية الفيتامينات المعروفة » (١)

هذا ما أثبتته البحوث الطبية من الفوائد الطبية للبلح ومنه العجوة ، وما ندري لعل الأيام ترينا نتائج بعض البحوث الطبية الأخرى التي تثبت أن في العجوة ترياقاً ضد السم ، قد تثبت

---

(١) جريدة الاهرام ـ الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ الموافق ٦ مايو ١٩٦٣ م السنة ٨٩ ـ العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ ـ نقلا عن كتاب السنة قبل التدوين •

بعض التجارب أن من يتعود على تناول سبع تمرات من عجوة كل صباح لا يؤثر عليه السحر ، وليس ذلك بغريب ، فقد أثبتت البحوث الطبية أن في أحد جناحي الذبابة من المضادات الحيوية ما يقضي على المواد الضارة الموجودة في الجناح الآخر للذبابة وهو الجناح الذي تتكيء عليه الذبابة اذا سقطت في مائع ، ولذلك أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب في شرابنا وأردنا استعماله أو شربه أن نغمس الذبابة أولا ثم ننزعها ، وقد أثار بعض الكتاب كذلك ضجة من قبل حول صحة هذا الحديث ، وآخرهم « الفنجري » وأثار المستشرقون وأتباعهم في هذا العصر شبهاً وشكوكاً حول كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة بشتى الأسباب ومنهم صاحب كتاب « أضواء على السنة المحمدية » لـ «محمود أبو رية» بل وصل الأمر في آخر المطاف ــ لمَّا لم ير هؤلاء المشككون في صحة الأحاديث النبوية الشريفة جزاءهم العادل من المسئولين ومن باقي المسلمين ــ الى أن يخرج أحدهم كتاباً سماه : « الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الاسرائيلية وتطهير البخاري منها » ضمنه ما يزيد على مائة حديث ادعى أنها غير صحيحة وأنها من الاسرائيليات المكذوبة ، وليس في الكتاب أثر من علم وانما هو الكيد والدس والافتراء على السنة النبوية ، وعلى أئمتها وعلى أصح مصادرها · ومؤلف هذا الكتاب هو : « السيد صالح أبو بكر » ويقال انه كان ضابطا في البحرية في مصر ·

ومثل هؤلاء لا أظن أن الكلام والنقاش العلمي ينفع معهم لأنهم لا يريدون العلم ولا البحث العلمي وانما يبتغون الكسب الحرام في هذا الدس والافتراء ·

فأرى أن تقوم جماعات العلماء ومنهم المشتغلون بالسنة النبوية بلفت نظر المسئولين في البلاد الاسلامية لتشديد الأمر على هؤلاء وفضح تبعيتهم للكفرة المستشرقين ، وخيانتهم لدينهم،

والا فما ندري ما سيظهر غداً من الدس والافتراء على الاسلام والسنة النبوية الشريفة باسم البحث العلمي والنقد ، والحمد لله رب العالمين ؟

في ١٣٩٧/٥/١٥ هـ

أستاذ الحديث المشارك بكلية أصول الدين
في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
د . محمود بن أحمد الطحان

مصادر ومراجع البحث

١ ـ صحيح البخاري بشرح فتح الباري للحافظ ابن حجر ـ المطبعة السلفية ٠

٢ ـ فجر الاسلام لأحمد أمين ـ الطبعة العاشرة ٠

٣ ـ ضحى الاسلام لأحمد أمين ـ الطبعة العاشرة ٠

٤ ـ السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج خطيب ـ نشر مكتبة وهبة ـ الطبعة الأولى ٠

٥ ـ مجلة العربي الكويتية ـ عدد نيسان سنة ١٩٦٦ م رقم العدد ٨٩ ٠

٦ ـ علوم الحديث لابن الصلاح ـ نشر المكتبة العلميـة ـ تحقيق الدكتور نور الدين عتر ٠

٧ ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ـ نشر المكتبة العلمية ـ تعليق الشيخ اسحاق عزوز ـ والدكتور نور الدين عتر ٠

٨ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ٠

٩ ـ بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ـ مطبعة محمد عاطف وسيد طه ٠

١٠ـ منهج النقد في علوم الحديث ـ للدكتور نور الدين عتر ـ نشر دار الفكر ٠

١١ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ـ بتحقيق الاستاذ عبد الفتاح أبو غدة ٠

١٢ـ مسند أحمد ـ الطبعة المصورة عن الطبعة الميمنية ٠

١٣ـ صحيح مسلم ـ بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ٠

١٤ـ جريدة الأهرام عدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ ٠